ذوات

مجلة تراثية فصلية محكمة

www.dorat-ghawas.com

المورد - العدد الثالث - المجلد الثالث

المحتوى

■ **الموردة**

* ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز طريقنا الخاص ... سر نصرنا ..... د . محمد البكاء ٣ ــ ٤

■ **بحوث ودراسات**

* « وليخسأ الخاسئون » (خسأ) ودلالتها في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٦ ــ ١٢
* اسم المفعول في تحقيقات اللغويين ..... أ . د . محمد ضاري حمادي ١٣ ــ ١٦
* مراعاة المخاطب في الاحكام النحوية في كتاب سيبويه ..... د . كريم حسين ناصح الخالدي ١٧ ــ ٣٠
* أصالة المؤسسات القضائية العربية الإسلامية ..... عطا سلمان جاسم ٣١ ــ ٤٦
* الجاحظ واسهاماته الثقافية في تعزيز وحدة الامة ..... د . هاشم يحيى الملاح ٤٧ ــ ٥٣
* العرب بين الجاهلية والاسلام المقتربات العقائدية ودوافع الشرك ..... د . خالد ناجي السامرائي ٥٤ ــ ٦٥
* الايقونة اللفظية في القصيدة السينيه المبحتري ..... طراد الكبيسي ٦٦ ــ ٦٩
* البريتوي الشاعر المتصوف ..... أ . د . رشيد عبد الرحمن العبيدي ٧٠ ــ ٧٦
* التراث مادة معاصرة في الشعر العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ..... حسن عبد الهادي الدجيلي ٧٧ ــ ٨٠
* ابراهيم الوائلي وجهوده الادبية واللغوية ..... نا هي ابراهيم العبيدي ٨١ ــ ٨٩

■ **نقد وتعقيب**

* مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء بين الاضطراب والمنطقية ..... أ . د . محمود عبد الله الجادر ٩٠ ــ ٩٥
* قراءة نقدية في معلقة لبيد بن ربيعة العامري ..... أ . م . د . نصيرة أحمد ٩٦ ــ ١٠١
* المستدرك على ديوان الاعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ) ..... محمد عويد الساير ١٠٢ ــ ١٠٨

■ **فهارس**

* كشاف الاثر العلمي للحضارة العربية الاسلامية في اوربا حتى ١٩٨٠ م ..... صبيح صادق ١٠٩ ــ ١١٤

■ **الجديد في المكتبة**

* مصطفى جواد حياته ومنزلته العلمية ..... عرض وتلخيص انور عبد الحميد الناصري ١١٥ ــ ١١٨
* اخبار التراث العربي ..... حسن عربيي ١١٩ ــ ١٢٦
* مطبوعات وصلت الى المجلة ..... عرض . نجلة محمد ١٢٧ ــ ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

التراث مادة معاصرة في الشعر العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين

حسن عبد الهادي الدجيلي

يفرق النقد الحديث بين التاريخ ، والتراث ، ويعد المصطلح الثاني أوسع من المصطلح الاول انطلاقا من كون المصطلح الاول هو جزء من الثاني فكل تراث هو تاريخ ، وليس كل تاريخ تراثا[1] ، وأذا كان التراث هو مادة واسعة المعنى بهذا الشكل فهي لاتحمل دائما زوايا مضيئة ، ولو كانت كذلك لما استحقت النظر أولا ، ولما استحقت الاسترفاد ، والدخول كمادة تناصية في النص ثانياً وهي بهذا لم تظهر الى المتلقي إلا بارتباطها بالزوايا المشرقة في ماضي أية أمة .

والامة العربية هي أكثر الامم التي تضمن ماضيها تراثا ثرا كونها الامة التي استقبلت الحضارة في باكورة وجود الانسان على الارض ، وكونها الامة التي استقبلت الكثير من الديانات السماوية ، وكونها الامة التي عرفت أولى أنماط الثقافة المتقدمة باختراعها الكتابة ، وفوق كل هذا فهي أمة حملت لواء آخر الديانات السماوية (الإسلام) ،

www.dorat-ghawas.com

والواقع الذي نشهده في قراءة النصوص الشعرية العربية إننا نجد نمطين من التراث :

نمط : يسترفد التراث لمناسبة استدعاها النص دون أي شيء آخر وهذا ما يمكن أن نطلق عليه (التراث الشكلي) ، ونمط آخر يسترفد لا لأجل مناسبة حسب وانما لكي يكون مادة تعيش في روح الحاضر ، وكأنها هي الحاضر نفسه وهذا النوع هو التراث الحقيقي ، والفني ، والمتفاعل في النص والذي يمكننا أن نطلق عليه دون تردد (التراث الحي) ، أو (التراث المتحرك) ، وهذا النمط التقني من التراث أقل رصيدا من النمط الأول (التراث الشكلي) كما إننا نجده في النتاج الشعري للشاعر الواحد : إما : نادرا ، واما : مفقودا ، والسبب القابع وراء ذلك هو إن (التراث الحي) ، أو (التراث المتحرك) يحتاج إلى شاعر صاحب تجربة موسوعية عاش تجارب ثرة في ماضيه وعاش أخرى في حاضره ، فضلا عن كونه أمتلك مرجعية ثقافية تقنية ، وله تاثير في الحاضر ، وبهذا فالشاعر الذي يمتلك هذه المواصفات شاعر قيادي في مجتمعه .

إن عملية التنقيب عن هذا النوع من التراث عملية أشد اجهاداً بكثير من عملية التنقيب عن النفط في أرض عرفت بانها لا تحوي قطرة واحدة من النفط ، لان العملية هنا هي عملية بحث عن تراث عام في بطون المصادر الشعرية أولا ، وعملية فرز لنوع من التراث ثانيا ، وعملية اختيار لهذا المفروز باستخراج الانماط المتذوقة فنيا ثالثا .

لقد استطعنا بعد أن نقبنا رصيدا ضخما من المصادر الشعرية لا سيما الدواوين لمختلف العصور أن نفرز بعض الأسماء التي اشتهرت بعصرنة التراث أو (التراث الحي)[٢] ، والواقع أن هذه الأسماء كادت أن تكون غير مرتبطة بعضها مع بعض ارتباطا واضحا ، فضلا عن أن (التراث الحي) بدا عند أكثرها وكأنه شيء طارىء على النص من الناحية النمطية لطبيعة نصوص الشاعر ، وبدا عند الآخريات نابعا من تجربة خاصة بالشاعر حاول زرع نبتتها في تربة الحاضر .

ولقد رأينا أن الشعر العربي بداية بالقرن الرابع الهجري ، ونهايةً بسقوط بغداد على يد الغزو المغولي (٦٥٦ هجرية - ١٢٥٨ ميلادية)[٣] قد شهد تيارا عاما تقريبا عند كل الشعراء ظهر فيه ميل واضح لاحياء التراث في أرض الواقع ، وجعله جزءاً منه ليس هذا حسب ، وانما جعل الحاضر جسم المجتمع ، وجعل التراث روحه التي يعيش بها ، وهواءه الذي يتنفس به ، وإذا كانت هذه المرحلة عموما (من القرن الرابع الهجري إلى نهاية العصر العباسي) هي المرحلة التي ساد فيها تيار تحويل التراث إلى مادة معاصرة فان القرن الرابع ، والخامس الهجريين يعدان المرحلة الذهبية الابداعية لهذا اللون من الشعر العربي ، ولعل السبب في هذا أن هذا اللون قد ولد في القرن الرابع الهجري ، وأزدهر في الخامس الهجري ، أما القرون التي تلت القرن الخامس الهجري فقد نال هذا اللون فيها المد والجزر بين ارتفاع وانخفاض فنيين ، فضلا عن أن طبيعة الأشياء في ولادتها تبدو ذات قيمة ، وهدف ، ونتاج لكنها فيما بعد تتحول إلى قيمة مجازية غالبا يضطرب فيها مستوى الإبداع بين ارتفاع وانخفاض .

شكل (الاغتراب)[٤] بمعناه الواسع سببا رئيسا لازدهار هذا التيار في القرن الرابع إلى نهاية العصر العباسي عموما ، والقرن الرابع والخامس الهجريين خصوصا فقد عانى الشاعر العربي من سيادة الحكم الأجنبي على أرضه وضعف الحكم العربي عليها لهذا وجد الشاعر العربي في التراث ملاذا لاحيائه في واقعه السيء حتى إن المعادلة الفنية انقلبت من إطارها الطبيعي (الذي يتمثل في أن الحاضر هو الآن ، والماضي هو الامس ، وأن استرفاد الماضي في الحاضر هي عملية رجوع للوراء ، وسحب الوراء الى الأمام ، وتلقيحهما بحيث يبدوان حاضرا) إلى الأطار المعاكس (الذي يتمثل في أن الشاعر كان ياتي إلى الماضي ولايرجع اليه بمعنى أن الماضي كان أمامه ، والحاضر ، والمستقبل كان خلفه إلى درجة نشعر معه في كثير من الأحيان بان الماضي هو الماضي ، والحاضر ، والمستقبل في حين أن الحاضر لا يمثل له شيئاً أبدا) .

إن ظهور بعض الشخصيات العربية القيادية آنذاك كان حافزا للشاعر في ضخ كل صورة (التراثية الحية) في هذه الشخصيات لكي تكون هذه الشخصيات هي الساحة التي يتحرك فيها الفضاء التراثي الواسع في النص الشعري آنذاك ، وتعد شخصية (سيف الدولة الحمداني) في ريادة هذه القيادات العربية التي شكلت ساحة التحرك التراثي عند الشعراء العباسيين في ذلك الوقت .

www.dorat-ghawas.com

وتعد النصوص التي أفرزها (المتنبي) في (سيف الدولة الحمداني)[٥] في قمة هذا الاتجاه . والشاعر العباسي في هذا التيار وفي مرحلة القرن الرابع والخامس الهجريين خصوصا تمتع بالصدق العاطفي في إخراج (العبارة الشعرية) المتعلقة بـ

(التراث الحي) لأن المسألة لا تتعلق بهدف مادي ، ولا موقف شخصي منفعل لا يفتأ أن يخمد ، ولا بإحساس بيئي فرضته طبيعة بيئة عربية معينة دون بقية البيئات ، وانما المسألة تتعلق بشعور عام ، وواقعي ، أو قل شعور قومي بأن هناك احتلالاً اجنبياً

مباشراً مرة ، وغير مباشر مرة أخرى للعروبة لذلك كان الشاعر في شعره ثورة عارمة تقارع الأجنبي ، وتنال منه بكل ما أوتي من الطاقات الأبداعية ، وطاقات شحذ همم المتلقي لأصلاح الواقع السيء آنذاك ، ولذلك كله اختفت (الانا) في أكثر النصوص

التي كانت تصيح بكل طاقات الصياح في الشعر العربي التراثي عموما ، كما ذاب (في الكثير من هذه النصوص) صوت الشاعر في صوت المتلقي حتى صار الشاعر والمتلقي شيئا واحدا إلى درجة كاد النص إن يكون في جوهره عملا مسرحيا رائدا ، وإذا كان

العمل المسرحي يتطلب عناصر معينة كالشخوص فالشخوص حاضرون مبدعا ، ومتلقيا ، وإذا كان العمل المسرحي يتطلب وحدة زمان فليس أعرق من وحدة زمان هذه النصوص التي وحدت بين الماضي والحاضر فجعلتهما زمنا واحدا وإذا كان المسرح يتطلب

مكانا واحدا فيكاد الشعراء الذين اتجهوا هذا الاتجاه أن يقفوا في مكان واحد هو مواجهة الواقع السيء ورحره ، فضلاً عن ان المسرح الذي يتطلب ان يكون المبدع على المنصة فيه ظهر المبدع والمتلقي أمامنا على منصته اما المتلقي فكان القيم السلبية التي يحاول الشاعر القضاء عليها بوساطة شعره هذا .

ولابد أن نعترف بأن جمع نصوص كل المرحلة التي أزدهر فيها(التراث الحي) من القرن الرابع إلى نهاية العصر العباسي لاسيما المرحلة الذهبية فيها (القرن الرابع والخامس الهجريين) يولد لناملحمة خالدة من اعرق ملاحم أدبنا العربي التراثي .

لقد اختصت (تقريبا) دواوين معينة بهذا النوع من التراث (التراث الحي) في هذين العصرين ، ويقف على قمة هذه الدواوين دواوين ثلاثة شعراء هم ليسوا مبدعين في هذا التيار حسب ، وانما هم أمراء الشعر العربي وهم كل من (المتنبي)[٦] ، و (الشريف الرضي)[٧] ، و (المعري)[٨] .

ولو نقبنا (التراث الحي) عند هؤلاء الثلاثة (بوصفهم عينات بارزة لهذا التراث ليس في عصرهم ، أو في العصر العباسي خاصة ، وانما في العصور العربية قاطبة) سنجد إن هذا التراث عندهم كان على قسمين هما :

١ . التراث الحي الذي هو جزء من النص /

٢ . التراث الحي الذي هو النص كله /

١ . التراث الحي الذي هو جزء من النص / كثر هذا النوع في التراث الحي ، فلو تصفحنا دواوين الشعراء الثلاثة السابقين لوجدنا قول المتنبي :

ما مقامي بارض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهودِ
مفرشي صهوة الحصان ولكن ... قميصي مسرودة من حديدِ
لامةٌ فاضةٌ أضاءةٌ دلاصٌ ... أحكمت نسجها يدا داودِ
أين فضلي إذا قنعتُ من الدهر ... بعيش معجل التنكيدِ
أنا في امة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمودِ[٩]

وقول الشريف الرضي :

ولو كنتُ ذا همةٍ حرةٍ ... لرحلني الضيمُ عن منزلي
وكيف تقلب ذي همةٍ ... وقد لُزَّ بالقرنِ الأولِ
أأبي ولا حد اسطويه ... وأين الإباءُ من الاعزلِ
ترى الجاهلية أحمى لنا ... وأنأى عن الموقف الأرذلِ
فلولا الإله وتخوافه ... رجعنا إلى الطابع الأولِ[١٠]

وقول المعري :

... ولما دالت العرب اغتصاباً ... وأضحت جُلُّ طاعتها بِهانُ
وعادتْ جاهليتها إليها ... فصارت لا تدينُ ولا تدانُ
سطوتْ نفي وليف الصعب قيدٌ ... بذاك في وتيرته عرانُ
وعنت في سماء بني عديٍّ ... نجومٌ ما يغيبها عنانُ
فما عبدتْ سوى الرحمن رباً ... إذ المعبودُ نَسْرٌ والمدانُ[١١]

ان التراث في النصوص الثلاثة السابقة مرتبط بالنص حتى ليصعب في الكثير من الاحيان أن نفصل بين الماضي ، والحاضر فيه حتى إن الجاهل بالتراث إذا ما قرأ النصوص السابقة ليحس بجلاء عدم وجود شيء طارىء على النص .

٢ . التراث الحي الذي هو النص كله / لمسنا هذا النوع من

www.dorat-ghawas.com

التراث عند المتنبي بجلاء في مثل قوله :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له ... خيرُ الخلائق والأنامُ سميُّ
أنظر إلى صفين حين دخلتها ... فانحاز عنك العسكر الغربيُّ
فكأنه جيش ابن هند رعته ... حتى كأنك يا علي عليُّ[12]

وفي مثل قول الشريف الرضي:

ما زلتُ أطرق المنازل بالنوى ... حتى نزلتُ منازل النعمانِ
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت ... شمُّ العماد عريضةُ الأعطانِ
شهدت بفضل الرافعين قبابها ... وتبين البنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين ان بقيت لهم ... خطط معمرة بعمرٍ فانِ
ورأيتُ عجماء الطلول من البلى ... عن منطق عربية التبيانِ
باقٍ بها حظُّ العيون وانما ... لاحظُّ فيها اليوم للاذانِ[13]

وفي مثل قول المعري:

لو بُعِثَ المنصورُ نادى أيا ... مدينة التسليم لا تسلمي
قد سكن القفرُ بنو هاشم ... وأنتقل الملك إلى الديلمِ
لو كنت أدري أن عقباهم ... لذاك لم أقتل أبا مسلم
قد خدم الدولة مستنصحا ... فالبسته شية المظلمِ[14]

إن النصوص السابقة تشهد بالقيمة الفنية التي تمتع هذا التراث (التراث الحي) فيها ، وما علي أخيرا إلا القول أن الوحدة العضوية والموضوعية ساكنة هذه النصوص الى درجة يصعب معها فصل أي بيت من أبياتها دون حدوث بتر واضح ، وهذه النصوص في داخل هذا التراث (التراث الحي) وغيرها شكلت البؤرة الأولى ، والواضحة لدلالة القناع في القصيدة العربية الحديثة .

(هوامش البحث)

١ ـ ينظر مثلًا : المعجم الادبي / مادة (تراث)
٢ ـ من ضمن هذه الاسماء : امرؤ القيس في ديوانه مثلًا : ٢٥ ، ٤٥ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٠١ ، وزهير بن ابي سلمى في ديوانه مثلًا :٢ ، ١٧ ، ٣٥ ، ٧٧ ، وعمرو بن كلثوم في ديوانه مثلًا : ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٧٦ ، وكعب بن مالك في ديوانه : ٢٧ ، ٤٩ ، ٨٦ ، ٩٩ ، والفرزدق في ديوانه مثلًا : ١١ ، ١٤ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، وبشار بن برد في ديوانه مثلًا : ٥٧ ، ٧٩ ، ١١٢ ، وابو نؤاس في ديوانه مثلًا : ١٠ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٥٦ ، ١١٣ ، وابو تمام في ديوانه مثلًا : ٦ ، ١٩ ، ٧٩ ، ١١٠ .
٣ ـ لقد وصلنا الى هذه الحقيقة من خلال تصفح ما يقارب ٢٩٥ ديواناً خلال هذه المرحلة ولشعراء كبار ومن مختلف البيئات العربية ،
٤ ـ لقد درست مادة الاغتراب في دراسات عديدة اهمها : الاغتراب في الشعر الجاهلي / ٣٥ ـ ٤٦ ، والاغتراب في الشعر الاسلامي ، والاغتراب عند المتنبي والاغتراب مصطلحاً نقدياً في الشعر العربي القديم ، لكن كل هذه الدراسات لم تربط بين موضوعنا ، وبينه مع ان هناك صلة قوية بينهما .
٥ ـ يعد اكثر ديوان المتنبي في سيف الدولة الحمداني ، و ٩٨٪ من هذا القسم الكبير فيه تراث حي .
٦ ـ ينظر ديوانه مثلًا : ١/ ١١ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ٢/ ٢٧ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٩ ، ٣/ ٦ ، ٨ ، ٦٥ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ٤/ ١٥ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٣٢ .
٧ ـ ينظر ديوانه مثلًا : ١/ ١٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢/ ٦٩ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٠٤ ،
٨ ـ ان ديوان سقط الزند ٩٦٪ منه تراث حي ، واللزوميات ٩٣٪ تراث حي ايضاً .
٩ ـ ينظر : ديوانه ١/ ١٣٥ .
١٠ ـ ينظر : ديوانه ١/ ١١٧
١١ ـ ينظر: ديوان سقط الزند ١/ ١٣٧
١٢ ـ ينظر : ديوانه ٣/ ١١٣
١٣ ـ ينظر: ديوانه ٢/ ١٢٥
١٤ ـ ينظر: ديوان اللزوميات ٢/ ١١٧

(قائمة المصادر والمراجع)

ـ الاغتراب عند المتنبي/ د . سالم عماد سعيد/ دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ لبنان/ ط١/ ١٩٩٩م .
ـ الاغتراب في الشعر الاسلامي/ د . احمد كمال عبد/ دار جمعة الماجد ـ الامارات العربية المتحدة/ ط١/ ٢٠٠١ .
ـ الاغتراب في الشعر الجاهلي/ شعبان حسين الاسيوطي/ مجلة كلية الاداب ـ جامعة اسيوط/ ع١/ مجلد٣/ ١٩٧٧ .
ـ الاغتراب مصطلحاً نقدياً في الشعر العربي القديم/ سامي احمد/ مجلة الثقافة والتراث ـ الامارات العربية المتحدة/ ع٢/ ٢٠٠٠ .
ـ ديوان امرىء القيس/ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم/ط٥/ دار الغارابي ـ بيروت/ ١٩٩٨م .
ـ ديوان بشار بن برد/ تحقيق د . سامح سلامة/دار توبقال للنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء ـ المغرب/ ١٩٩٧م .
ـ ديوان ابي تمام/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ القاهرة/ ط٢/ ١٩٦٥م .
ـ ديوان سقط الزند/ تحقيق دار التراث العربي ـ بيروت/ ط٢/ ١٩٧٠م .
ـ ديوان الشريف الرضي/ تحقيق دار التراث العربي ـ بيروت/ ط١/ ١٩٧٥م .
ـ ديوان عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري/ تحقيق : فارمر/ مجلة المشرق ـ ع١/ ١٩٢١/ ٦٥ ـ ٧٥ .
ـ ديوان الفرزدق/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ القاهرة/ ١٩٥٠ .
ـ ديوان كعب بن مالك/دار الثقافة ـ بيروت/ ط١/ ١٩٨٢ .
ـ ديوان اللزوميات/ دار ابن سينا ـ بيروت/ ط١/ ١٩٩٢ .
ـ ديوان المتنبي/ تحقيق عبد الرحمن البرقوقي/ بيروت/ ١٩٨٣ .
ـ ديوان ابي نؤاس برواية الصولي/ تحقيق بهجت الحديثي/ دار الرسالة ـ بغداد/ ١٩٨٠ .
ـ شعر زهير بن ابي سلمى/ تحقيق د . فخر الدين قباوة/ بيروت/ ط٧/ ١٩٨٣م .
ـ المعجم الادبي/ جبور عبد النور/دار العلم للملايين/ بيروت/ ط٧/ ١٩٧٣م

www.dorat-ghawas.com